محاضرات في " فقه اللغة" لطلبة السنة الأولى

(السداسي الثاني-المجموعة 02)

أستاذ المادة: الأستاذ الدكتور :عبد القادر سلاّمي

قسم اللغة العربية –كلية الآداب واللغات-جامعة تلمسان

- **المحاضرة (06)**:08 -03-2020

8- موضوعات فقه عند القدماء وأوليات الإشارة إلى المصطلح(تابع):

-ولا نغادر القرن الرابع الهجري لنقول: إن مصطلح" فقه اللغة" ظهر لأوّل مرّة في الدراسات اللغوية العربية وذلك على يد " ابن فارس" ، الذي خرج به عن جميع المرويات اللغوية التي كانت سائدة قبل عصره وفي أيّامه أيضاً إلى البحث المتطوّر على أساس مقنّن.

إنّ مصطلح" فقه اللغة" في كتاب " الصاحبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها" أقرب غلى المصطلح الفرنسي" linguistique" أو " La science du Langage" منه إلى مصطلح "Philologie" ، هذا إذا أخذنا بتحديد " saussure De" لعلم اللغة بأن موضوعه الوحيد والصحيح هو اللغة معبّرة في ذاتها ومن أجل ذاتها ، أي يدرسها دراسة وصفية تستهدف الكشف عن حقيقتها وقوانينها الضّابطة.

فاين فارس في " الصاحبي في فقه اللغة" قد درس ا للغة العربية لذاتها ومن أجل ذاتها دراسة وصفية استقرّت فيها بغضاً من العلوم الأخرى ، لإذ أخذ البلاغيون بعضها، والنحويون بعضها الآخر، والصرفيون ما يتّصل بمادّتهم.

وقد اتّخذ المؤّلف فيه المنهج العلمي للوصول إلى القوانين أو ما أسماه بـ"سنن العرب في في كلامها"، التي تنظّم اللغة ، وقد قصد بهذه " السّنن" : القوانين الضّابطة للغة العربية ، ووسائل نمائها في ألفاظها و معانيها. و تشكّل هذه السّنن مادة الكتاب، وتوضّح أنّ المؤلف قد أدرك أنّ اللغة ليست مجرّد مجموعة من الألفاظ بمقدار ما هي مجموعة من العلاقات،

لذا انصبّبت دراسته على دراسة الجملة وتحليلها. ويتبيّن من تحليل مادة الكتاب أنّ المؤلّف قد عنى بفقه اللغة البحوث النّظرية في أوّل الكتاب كأصل اللغة، واللهجات العربية، وعنى بسنن العرب في كلامها قوانين الجملة العربية ومكامن الجمال فيها.

فمن دلائل تحليله اللغة العربية تحليلا وصفياً ما نراه على صعيد النحو مثلاً ، إذ تبيّن أنّه يبحث موضوعاته من وجهة نظر البحث اللغوي الصِّرف(الخالص)، بعيداً عن عن العامل والمعمول، والتكلّف في توجيه الشّواهد إلى آخر ما يعاني منه النحو العربي إلى اليوم من أمراض وعلل مردّها إلى عدم الفصل بين النّحو التعليمي والنّحو العلمي والتكلّف في إقحام الأمثلة المصنوعة، من نحو " محمد خرج" و(الأصل " خرج محمد")على أنّها جملة اسمية، ضمن رتبه المحفوظة، وعدم تفسير أمثلتها تفسيراً بلاغياً تبرّره الضرورة الشعرية أو الضرورية السياقية.

فابن فارس لا يعنيه مثلاً في أمر الاستثناء عامل النّصب ولا عامل الرّفع، كما لا تعنيه الأحكام التي وضعها النحويون ، ولا تلك الاحتمالات التي أدخلوها على الباب ، كافتراض تقدّم المسنثنى على المُستثنى منه وحكمه، ولا تلك الأمثلة ن مثل: "ضربتُ القوم" إلاّ حماراً" ، و" مررْتُ بالقوم إلاّ حماراً" وإنّما يعتمد الشواهد العالية والنصوص الراقية من قرآن كريم وحديث نبوي شريف، وشعر عربي رفيع.

فهو يبدأ الباب بمنهج رائد في بحث الموضوعات ، بالتعريف بالاستثناء تعريفاً لغوياً له من الشواهدما يصحّحه ،ليكون الدارس على بيّنةٍ من الأرضية التي التي يقف عليها ، إذ يقول: " أصل الاستثناء أن تستثني شيئاً من جملة اشتملت عليه في أوّل ما لُفظ به، وهو قولهم : (خرج النّاسُ إلاّ زيداً)، فقد كلن زيدٌ في جملة النّاس ثمّ أُخرج منهم،[1] ولذلك سمّي استثناءً ، لأنّه ثُنّيذكرُه مرّةً في الجملة ومرّةً في التفضيل. ولذلك قال بعض النحويين:" المُستثنى خلرجمّما دخلَ فيه، وهذا مأخوذ من الثِّنَا، وهو الأمر يُثّى مرّتيْن . قال رسول الله-

1 وهو تعريف قريب من قول بعض النحويين: إخراج بعضٍ نت كلّ. ويتمّ بأدوات يخرجُ ما بعدها نت حكم ما قبلها ، تقول: بعتُ كلّ ما أملمُ إلاّ الكتبَ".

صلى الله عليه وسلّم-(لا ثنا في الصّدقة) [2] ، يعني: لا تُؤخَذُ في السّنة مرّتيْن.قال أوس بن حجر:

أفي جنْب بكرٍ قطَّعَتْني ملامةً ؟ لعمْري لقد كانت ملامتُها ثنا

يقول: هذا ليس بأوّل لومها من فعَلتْه قبل هذا أتاه، وهذا ثناً بعده.[3]

فابن فارس في هذا المقطع الشعري لغوي ينظر في النّحو . ففي تحديده معنى الاستثناء دقّةٌ علميةٌ ترجع إلى الأصل اللغوي ، ممّا يسهّل تحديد المصطلح وإغفال ما أُضيف من احتمالات علمية لا طائل من ورائها ، كالأمثلة التي سقناها سابقاً، فكذا محلّه من الصّرف والبلاغة وغيرهما.

9- موضوعات فقه اللغة عند المحدثين:

إلى يومنا هذا ، لا يلمح الدارس أيّ وضوح في الدرس الجامعي في العالم العربي، في تحديد مصطلح فقه اللغة ، وإنّك لوَاجدٌ فقه اللغة في تلك الجامعات موزازياً لعلم اللغة أوالألسنية أواللسانيات ، بل تدخلُه في بعضها مباحث نحوية وصرفية ، لا تمتُّ بصلة ’لى مفهوم المصطلح بصلة. كما أنّ دلالته عند المحدثين قد اختلفت باختلاف الدّارسين أنفسهم.فهو ينصرف في أبحاث اللغويين العرب إلى ما كان ينصرف إليه عند ابن فارس في(الصاحبي في فقه اللغة)، ويشمل في دراستهم من الموضوعات ما شملته في دراسات ابن جني في (الخصائص) و (سرّصناعة الإعراب)ومن تقدَّمَه أو تأخَّر عنه ، بفرقٍ واحدٍ هو فرْقُ التطوّر اللغوي العلمي الذي أصاب الدّراسات الحديثة بفضل تطوّروسائل البحث وأجهزته المتقدّمة.فقد تخصّص لدى هؤلاء الباحثين باللغة العربية تفريقاً له عن مصطلح آخر هو علم اللغة الذي تخصّص لديهم بدراسة ظواهر اللغات وقضاياها عموماً ؛ وعليه فإنّ

---

2 ولكنه ليس وجه الكلام ولا معنى الحديث . ومعناه أن يتصدّق الرّجل على آخر صدقةً ، ثمّ يبدو له أن يستردذها ، فيقالُ: لا ثُنا في الصدقة ، أي لا رجُوع فيها. والثنا كذلك أن تِخذ ناقتان في الصّقة مكان واحدة.النهاية في غريب الحديث والأثر، 224/1،مادة (ثنا).

3 الصاخبي في فقه اللغة وسنن العرب في كلامها، ص 138-139

اللغويين العرب القدامى حين عالجوا موضوعات فقه اللغة كانوا علماء لغة ، ولكنهم قصروا بحوثهم على اللغة العربية ، وهذا ليس بِدْعاً أو مستغرباً، وإنْ كانوا قد استعملوا "فقه" بمعنى"علم"، و" علم" بمعنى" فقه"تمسُّكاً بالدلالة اللغوية لهما،ولا مُشاحَّةَ في الاصطلاح ، إذا عرف السّببُ.

المحاضرة (07): 15 -03-2020

1- موضوعات فقه اللغة بين القدماء والمحدثين:

أ-نشأة اللغة بين التوقيف والمواضعة (الاصطلاح):

الواو والقاف والفاء أصلٌ واحد يدلّ على تمكث في الشيء، ثمّ يقاس عليه منه وفقْت أقفُ وُقُوفاً، وقَفْتُ وَقْفي، ولا يقالُ أوقفْتُ إلاّ أنّهم يقولون للذي يكونُ في شيء ثمّ ينزِعُ عنه: قد أوقفَ.[4]أما في الاصطلاح، فهو مذهب يقرن بالوحي والإلهام قال به الأخفش الأوسط (ت 215 ه) في أحد أقواله في نشأة اللغة الإنسانية على أنّها منْ عنْد اللهِ[5]، وأحتجّ بقوله تعالى عزّ وجلّ: (وعلَّم آدمَ الأسماءَ كلَّها)[6] ولم يمنعْ قَوْلَ مَنْ قالَ: إنّها تواضعٌ منْهُ،وشَرَحَ رأيه بقَوْلِه: "اختلافُ لغات العرب إنّما جاءَ مِنْ قِبَل أنّ ما وُضع منها وُضع على خلافٍ، وإنْ كان كلُّه مَسُوقاً علَى صحّةٍ وقياسٍ، ثمّ أحدَثُوا مِنْ بعْد ذلكَ أشياءَ كثيرةً للحاجَة إليها،غيرَ أنّها على قياسٍ ما كان وضع في الأصل مختلفاً[7]. كمَا أنّ أبا علي الفَارسي قد أخذ بمذهب التوقيف في أحد قوليْه، فقد قال لتلميذه ابن جني يوماً: "هي من عند الله"[8]، واحتجّ بالآية السّابقة، وأخذَ ابنُ جنّي في أحدِ أقْوَالِه، بمذْهَبِ أسْتَاذِهِ،حينَ قالَ: "وانْضافَ إلى ذلك واردُ الأخْبارِ المأثورةِ بأنّها من عند الله عز وجل، فقَويَ في نفسي كونها توقيفاً من

---

[4]- معجم مقاييس اللغة ،6 :135، مادة (وقف) .

[5]-الخصائص، 1: 41.

[6]-الآية 41 من سورة البقرة.

[7]الاقتراح، ص8

[8]-الخصائص، 1: 40.

الله وأنّها وحيٌ"[9]. وذهبَ ابنُ فارِس المذهبَ نفْسَهُ،فقالَ مدافعاً عن مَذْهَبِ ابنِ عبّاس [10](ت 68 ه)، ومُعْتَقِداً بصِحّةِ تَفْسِيرِهِ للآيَةِ الكَريمَةِ وبِصَوَابِ رأْيِهِ في توقيفِ اللّغة: "لوْ كانَ ذلكَ كمَا تذْهَبُ إليهِ لقالَ: "ثمّ عرضهن" أو "عرضها، فلمّا قال: "عرضهم" علم أن ذلك لأعيان بني آدَمَ أو الملائكة، لأنّ موضوع الكناية في كلامِ العَرَب أن يُقال لما يعقِل "عَرضهُم"، ولما لا يعقِل: "عرضَها" أو "عرضَهُنّ"، قيل: إنّما قال ذلك والله أعْلَمُ،لأنّه جَمَعَ مَا يَعْقِل ولا يَعْقِل فغلَّب ما يعقِل، وهي من سنَنِ العرب،أعني التَّغليب[11]وسار على هذا المذهب جمع من فقهاء اللغة، عرضَ لهم السّيوطي بالتفصيل، وبسطَ آراءهُم، وما جاؤُوا به من أدلَّة نَقْليةٍ وعَقْليةٍ.[12]

أمّا المُوَاضَعَةُ(الاصطلاح): مِنْ وَضْعِ الدَّالَةِ عَلَى الخَفْضِ لِلشَّيْءِ وَحَطِّهِ. وَالوَضِيعُ: الرَّجُلُ الدَّنِيُّ. وَالدَّابَّةُ تَضَعُ فِي سَيْرِهَا وَضْعًا، وَهُوَ سَهْلٌ يُخَالِفُ المَرْفُوعَ[13]. أَمَّا "الاِصْطِلَاحُ"، فَقَدْ وَرَدَ فِي المَعَاجِمِ العَرَبِيَّةِ عَلَى أَنَّهُ إِزَالَةُ الخِلَافِ،واصْطَلَحُوا عَلَى الأَمْرِ: تَعَارَفُوا عَلَيْهِ. [14] وَ عَلَى هَذَا فَالمُصْطَلَحُ هُوَ اللَّفْظُ الّذِي يَتَّفِقُ العُلَمَاءُ عَلَى اخْتِيَارِهِ لَيَدُلَّ عَلَى شَيْءٍ مَحْدُودٍ فِي عُرْفِهِمْ، يَتَمَيَّزُ بِهِ مِنْ سِوَاهُ، فَيَنْتَقِلُ مِنَ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيّ إِلَى المَعْنَى الاصْطِلَاحِيّ .

وَ دَلَالَةُ المُوَاضَعَةِ عَلَى الاِصْطِلَاحِ أَمْيَلُ وَهُوَ يَعْنِي اتِّفَاقَ القَوْمِ عَلَى تَسْمِيَةِ الشَّيْءِ بِاسْمٍ يُنْقَلُ عَنْ وَضْعِهِ الأَوَّلِ أَوْ مَعْنَاهُ اللُّغَوِيّ المُسْتَعْمَلِ عَادَةً إِلَى مَعْنًى آخَرَ يُصْطَلَحُ عَلَيْهِ لِمُنَاسَبَةٍ بَيْنَهُمَا، وَفِي العَرَبِيَّةِ اصْطِلَاحَاتٌ كَثِيرَةٌ بَعْضُهَا عَامٌّ وَبَعْضُهَا خَاصٌّ وَكُلُّهَا تَدْخُلُ ضِمْنَ إِطَارِ تَطَوُّرِ المَعْنَى مِنَ التَّعْمِيمِ إِلَى التَّخْصِيصِ وَمِنَ الإِطْلَاقِ إِلَى التَّقْيِيدِ. وَهُوَ مَذْهَبٌ ذَكَرَهُ ابْنُ جِنِّيٍّ، فَقَالَ "إِنَّ أَصْلَ اللُّغَةِ لَا بُدَّ فِيهِ مِنَ المُوَاضَعَةِ، ذَلِكَ كَأَنْ يَجْتَمِعَ حَكِيمَانِ أَوْ ثَلَاثَةٌ فَصَاعِدًا، فَيَحْتَاجُونَ إِلَى الإِبَانَةِ عَنْ الأَشْيَاءِ، فَيَضَعُونَ لِكُلِّ مِنْهُ سِمَةً وَلَفْظًا يَدُلُّ عَلَيْهِ،

---

[9]- المرجع نفسه، 1: 47

[10]-فقد كان ابن عباس يقول علمه الأسماء كلها، وهي هذه الأسماء التي يتعارفها الناس من دابة وارض وسهل وجبل وحمار وأشباه ذلك من الأمم وغيرها" .الصاجي في فقه اللغة ،ص 6.

[11]-المرجع نفسه،ص5.

[12]- المزهر، 1: 17.

13 -معجم مقاييس اللغة، 6: 117 – 118، مادة (وضع)

14-ينظر: معجم مقاييس اللغة،303/3، مادة(صلح) و القاموس المحيط، 243/3،مادة (صلح).

وَيُغْنِي عَنْ إِحْضَارِهِ أَمَامَ البَصَرَ.[15] وَهُوَ مَا عَبَّرَ عَنْهُ ابْنُ خَلْدُون (ت. 808هـ) بِقَوْلِهِ: "ثُمَّ لَمَّا كَانَتِ العَرَبُ تَصْنَعُ الشَّيْءَ لِمَعْنًى عَلَى العُمُومِ، ثُمَّ تَسْتَعْمِلُ فِي الأُمُورِ الخَاصَّةِ ألفاظاً أُخْرى خاصّةً بها، فَرَّقَ ذَلِكَ عِنْدَنَا، بَيْنَ الوَضْعِ وَالاِسْتِعْمَالِ، وَاحْتِجَاجُ النَّاسِ إِلَى فِقْهٍ فِي اللُّغَةِ عَزِيزُ المَآخِذِ، كَمَا وُضِعَ الأَبْيَضُ بِالوَضْعِ العَامِّ لِكُلِّ مَا فِيهِ بَيَاضٌ، ثُمَّ اخْتَصَّ مَا فِيهِ مِنْ خَيْلٍ بِالأَشْهَب، وَمِنَ الإِنْسَانِ بِالأَزْهَرِ، وَمِنَ الغَنَمِ بِالأَمْلَحِ حَتَّى صَارَ اسْتِعْمَالُ الأَبْيَضِ فِي هَذِهِ كُلِّهَا لَحْنًا وَخُرُوجًا عَنْ لِسَانِ العَرَبِ[16].

وَطَرِيقَةُ ذَلِكَ أَنْ يَقْلِبُوا مَثَلًا عَلَى شَخْصٍ، وَيُومِئُوا إِلَيْهِ قَائِلِينَ إِنْسَانٌ! فَتُصْبِحُ هَذِهِ الكَلِمَةُ اسْمًا لَهُ، وَإِنْ أَرَادُوا سِمَةَ عَيْنَيْهِ أَوْ يَدِهِ، وَهَلُمَّ جَرًّا فِيمَا سِوَى هَذَا مِنَ الأَسْمَاءِ وَالأَفْعَالِ وَالحُرُوفِ، ثُمَّ لَكَ بَعْدَ ذَلِكَ أَنْ تَنْقُلَ هَذِهِ المُوَاضَعَةَ إِلَى غَيْرِهَا، فَتَقُولُ: الّذِي اسْمُهُ إِنْسَانٌ فَلْيَجْعَلْ مَكَانَهُ "مَرْد" بَدَلَ "إِنْسَان"،وَعَلَى هَذَا بَقِيَّةُ الكَلَامِ وَنُشُوءُ لُغَةٍ أُخْرَى كَالفَارِسِيَّةِ مَثَلًا[17]. أَمَّا القَائِلُونَ بِالمُوَاضَعَةِ وَالاِصْطِلَاحِ فَأَهَمُّهُمْ المُعْتَزِلَةُ الّذِينَ أَهَّلَتْهُمْ ثَقَافَتُهُمُ العَقْلِيَّةُ لِبَحْثِ القَضَايَا الدِّينِيَّةِ وَاللُّغَوِيَّةِ بَحْثًا عَمِيقًا، وَانْتَهَى هَؤُلَاءِ إِلَى أَنَّ أَصْلَ اللُّغَةِ اصْطِلَاحٌ وَمُوَاضَعَةٌ قَامَ بِهِمَا البَشَرُ، وَلَيْسَ ذَلِكَ وَحْيًا وَتَوْقِيفًا. وَلَا يَجُوزُ عِنْدَ المُعْتَزِلَةِ أَنْ تَكُونَ المُوَاضَعَةُ مِنَ اللهِ لِأَنَّ اللهَ تَعَالَى -كَمَا يَعْتَقِدُونَ- لَا جَارِحَةَ لَهُ، فَعَلَى هَذَا لَا تُوجَدُ إِشَارَةٌ أَوْ إِيمَاءٌ".[18] وَهُوَ رَأْيُ أَبِي عَلِيٍّ الفَارِسِيّ وَقَدْ عَادَ وَقَالَ بَالتَّوَاضُعِ وَالاِصْطِلَاحِ فِي اللُّغَةِ، ذَلِكَ لِأَنَّهُ يَجُوزُ أَنْ يَكُونَ اللهُ قَدْ أَقْدَرَ آدَمَ أَنْ وَاضَعَ عَلَيْهَا، غَيْرَ أَنَّ هَذَا المَعْنَى إِذَا كَانَ مِنْ عِنْدِ اللهِ لَا مَحَالَةَ أَوْ مُحْتَمَلاً غَيْرَ مُسْتَنْكَرٍ سَقَطَ الاِسْتِدْلَالُ بِهِ.[19]

وَإِذَا كَانَ ابْنُ جِنِّيٍّ قَدْ وَقَفَ أَوَّلَ الأَمْرِ حَائِرًا بَيْنَ التَّوْقِيفِ وَالاِصْطِلَاحِ، بَلْ جَوَّزَ الأَمْرَيْنِ جَمِيعًا[20]، فَإِنَّهُ لَمْ يَخْرُجْ قَيْدَ أُنْمُلَةٍ عَمَّا أَقَرَّهُ أُسْتَاذُهُ أَبُو عَلِيٍّ الفَارِسي وَمَا ذَهَبَ إِلَيْهِ الأَخْفَشُ الأَوْسَطُ بِشَأْنِ المُوَاضَعَةِ المَقْصُودُ فِي اللُّغَةِ، والذي لَمْ يَمْنَعْ قَوْلَ من قال: إنها تَوَاضُعٌ من الله تعالى، وشَرَحَ رأيَهُ بقولِهِ:" اخْتِلَافَ لُغَاتِ العَرَبِ، وَإِنَّمَا جاءَ مِنْ قِبَلِ أَنَّ أَوَّلَ مَا وُضِعَ مِنْهَا وُضِعَ عَلَى خِلَافٍ، وَإِنْ كَانَ مَسُوقًا عَلَى صِحَّةٍ وَقِيَاسٍ، ثُمَّ أَحْدَثُوا مِنْ بَعْدِ ذلكَ

---

15 -الخصائص،1: 44.

16 -مقدمة ابن خلدون، ص 549.

17-الخصائص، 1: 44.

18- المرجع نفسه، 1: 45.

19 -المرجع نفسه ،1: 40-41.

20 -المرجع نفسه، 2: 28-29 وينظر الاقتراح ص 8.

أَشْيَاءَ كثيرةً للحاجةِ إليها،غَيْرَ أَنَّهَا عَلَى قِيَاسِ مَا كَانَ وُضِعَ فِي الأَصْلِ مُخْتَلِفاً"[21] إلاّ أَنَّهُ كَانَ إِلَى تَغْلِيبِ الوَقَائِعِ عَلَى المَشَاعِرِ، فَعَارَضَ الاِحْتِجَاجَ بَالآيَةِ الكَرِيمَةِ[22] (وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاءَ كُلَّهَا).[23] غَيْرَ أَنَّهُ عَلَى مَا يَبْدُو، وَانْطِلَاقًا مِنْ مَذْهَبِهِ الكَلَامِيّ، لَمْ يَرَ فِي نَظَرِيَّةِ التَّوَاضُعِ إِلاَّ مُنْطَلَقًا مَبْدَئِيًّا لِلْوُصُولِ إِلَى حَقِيقَةِ نَشْأَةِ اللُّغَةِ الإِنْسَانِيَّةِ، خَاصَّةً وَأَنَّهَا تَفْتَقِرُ هِيَ أَيْضًا إِلَى سَنَدٍ عِلْمِيّ مَقْبُولٍ أَوْ حَقِيقَةٍ تَارِيخِيَّةٍ مُعْتَمَدَةٍ، وَهِيَ فِيمَا تُقَرِّرُهُ تُعَارِضُ القَوَانِينَ العَامَّةَ الّتِي تَسِيرُ عَلَيْهَا النُّظُمُ الاِجْتِمَاعِيَّةُ الّتِي لَا تُصْنَعُ مِنَ العَدَمِ وَلَا تُرْتَجَلُ ارْتِجَالًا، بَلْ تَتَدَرَّجُ فِي وُجُودِهَا شَيْئًا فَشَيْئًا حَامِلَةً بُذُورَ تَطَوُّرِهَا حَتَّى تَسْتَوِيَ نِظَامًا نَاضِجًا مُكْتَمِلًا، عَدَا أَنَّ التَّوَاضُعَ عَلَى تَسْمِيَةِ مُسَمًّى مُعَيَّنٍ يَحْتَاجُ نَفْسُهُ إِلَى لُغَةٍ صَوْتِيَّةٍ يَتَفَاهَمُ بِهَا المُتَوَاضِعُونَ. فَمَا يَجْعَلُهُ أَصْحَابُ هَذِهِ النَّظَرِيَّةِ مَنْشَأً لِلُّغَةِ يَتَوَقَّفُ أَيْضًا عَلَى وُجُودِ هَذِهِ اللُّغَةِ مِنْ قَبْلُ، وَيَبْدُو أَنَّ ابْنَ جِنِّيّ قَدْ أَدْرَكَ هَذِهِ الحَقَائِقَ العِلْمِيَّةَ، فَعَدَلَ عَنْ ذَلِكَ التَّفْسِيرِ إِلَى تَفْسِيرٍ أَدَقَّ وَأَقْرَبَ إِلَى المَنْطِقِ وَالعَقْلِ، دُونَ أَنْ يَحِيدَ عَنْ مَبْدَإِ التَّوَاضُعِ وَالاِصْطِلَاحِ فِي اللُّغَةِ[24]، فَوَجَدَهُ عِنْدَ القَائِلِينَ بِنَظَرِيَّةِ المُحَاكَاةِ،وَعَدَّهُ وَجْهًا صَالِحًا وَمَذْهَبًا مُتَقَبَّلًا، فَقَدْ ذَهَبَ بَعْضُهُمْ إِلَى أَنَّ أَصْلَ اللُّغَاتِ كُلِّهَا إِنَّمَا هُوَ مِنَ الأَصْوَاتِ المَسْمُوعَاتِ، كَدَوِيِّ الرِّيحِ، وَحَنِينِ الرَّعْدِ، وَخَرِيرِ المَاءِ، وَصَهِيلِ الفَرَسِ وَنَعِيقِ الغُرَابِ، وَنَحْوِ ذَلِكَ.[25] وَمَهْمَا تَكُنْ حُجَجُ القَائِلِينَ بِالمُوَاضَعَةِ وَالاِصْطِلَاحِ،[26] وَرُدُودِ القَائِلِينَ بِالتَّوْقِيفِ عَلَيْهَا فَإِنَّهُ بِإِمْكَانِنَا أَنْ نَقُولَ: إِنَّ اللهَ عَزَّ وَجَلَّ القَادِرَ عَلَى تَسْمِيَةِ الأَقَلِّ جُزْءًا وَ بِالأَكْثِرِ كُلًّا، قَادِرٌ عَلَى أَنْ يُمِدَّ الإِنْسَانَ أَيْضًا بِقُوَّةٍ يُمْكِنُهُ بِمُوجَبِهَا التَّوَاضُعُ، وَالاِصْطِلَاحُ عَلَى حَاجَاتِهِ الدُّنْيَوِيَّةِ مَعَ بَنِي جِنْسِهِ، مَا دَامَ فِي الطَّبِيعَةِ مَا يَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللهِ تَعَالَى، مِنْ خَرِيرِ المَاءِ، وَدَوِيِّ الرِّيحِ وَغَيْرِهِمَا مِنَ الأَصْوَاتِ المَسْمُوعَاتِ، فَيَكُونُ اللهُ قَدْ مَيَّزَ خَلِيفَتَهُ فِي الأَرْضِ عَنِ الحَيَوَانِ، لَيْسَ بِالنُّطْقِ فَحَسْبُ، بَلْ بِالعَقْلِ المُدَبِّرِ كَذَلِكَ،

---

21 -الاقتراح، ص8.

22 -ينظر الخصائص، 1: 47 و2: 30،25.

23 -الآية: 31 من سورة البقرة .

24 -نستشعر ذلك في كلامه على: الخضم والقضم، إذ يقول: "فاختاروا الخاء لرخاوتها للرطب، والقاف لصلابتها، حَدْوًا لمسموع الأصوات على محسوس الأحداث"، الخصائص، 2: 158.

25 -الخصائص ،1: 46-47.

26 ينظر تفصيل ذلك في: المزهر، 1: 18،19 وينظر: المخصص ،1: 2-3، 5-6.

وَيَدْعَمُ هَذَا أَنَّ أَكْثَرَ أَهْلَ النَّظَرِ عَلَى أَنَّ أَصْلَ اللُّغَةِ إِنَّمَا هِيَ تَوَاضُعٌ وَاصْطِلَاحٌ.[27] هَذَا، وَيَأْتِي الاِصْطِلَاحُ وَالمُوَاضَعَةُ عَادَةً فِي مُقَابِلِ التَّوْقِيفِ.(*)

المحاضرة (08): 06 -04-2020

ب- الإبْدَال:

لقد اقترنَ مصطلحُ الإبدالِ بثلاثةِ معانٍ لغويةٍ هي: جعلُ الشيء مكانَ شيء آخر[28] والتَّغيير[29] والتَّحريف.[30] أمّا الإبدالُ منْ حيثُ الاصطلاحُ، فيدلُّ على "وضعِ حرفٍ مكانَ آخرَ معَ الإبْقاءِ على سائرِ أحرفِ الكلمةِ"،[31]وهوَ مَا نَعْني بِهِ"الإبْدَالَ اللّغوي"، الذي يختلفُ والإبدالُ الصَّرفي في كوْنِ هذا الأخير يقْتَضِي الضّرورَةَ والاسْتِحْسَانَ[32]أيْ أنَّ لهُ قوانينُ ضابطةٌ تحكمُه،وهي مسائلُ قياسيةٌ مُطَّردةٌ أجْمَلَ الصّرفيُونَ مَوَاضِعَها،في حين لا يقْتَضِي الإبدالُ اللّغوي ذلك،ويكْفي أنْ يَرْوِي اللّغوي ألفاظاً فيها تعاقُبٌ بين الأحِرُفِ، ليُعَدَّ هذَا إبدالاً.

والإبْدَالُ منَ المباحثِ اللّغويَةِ التي اجتَذَبَتْ البَاحِثِينَ قَديماً وحَديثاً، واختَلَفَتْ آراؤُهُمْ في وُقُوعِها، وشُرُوطِ حدُوثِها في اللغَةِ العَربيَةِ.

ويعدُّ الخليلُ بنُ أحمد الفَرَاهِيدي (ت 175 ه) أوّل مَنْ أشار إليهِ ومثَّل لهُ[33]، وإنْ كانَ لمْ يقِفْ في القَوْل بالإبدالِ عندَ الألفاظِ التي يَتقاربُ فيها صَوْتَا المُبْدَلِ والمُبْدَلِ منْه، ففي الوقْتِ الذي نَصَّ فيه على" الزُّعاق و الذُّعاق"، وحارَ في أمْرِهما، فلَمْ يَدْرِ أَهيَ لغةٌ أو لُثْغة؟[34] والصَّوتان من حيّز واحدٍ، فمِنْ بيْن طرَفِ اللِّسَان وأطِرَافِ الثَّنَايَا تخْرجُ الذّالُ اللّثَوية، ومنْ بيْن طَرَفِ اللِّسان وفُوَيْق الثَّنايا تخرجُ الزَّاي الأسَلِيَة.

---

27 الخصائص، 1: ص40

(*)ينظر: ما تقدّم من مادة (التوقيف) من البحث.

28- لسان العرب، 11:48 مادة (بدل).

29-كشاف اصطلاحات الفنون ،ص 209.

30-القاموس المحيط،3: 333، مادة(بدل) .

31- الإبدال لأبي الطيب اللغوي ، مقدمة تحقيق ،ص 9.

32-ينظر: شرح المفصل 10: 7.

33 -الدراسات اللغوية عند العرب حتى نهاية القرن الثالث،ص408,

34-ينظر: العين، 1 :133،نادة(عقز).

على أنَّ أوَّل من أطلق مصطلح الإبدال على هذه الظاهرة هو الفَرَّاء (ت 207 ه)، الذي انتهى به البحث إلى أنّ العَرَبَ تُبْدِلُ الفَاءَ بالثّاءِ،فيقولونَ: جَدَثٌ، وجدَفٌ، و"وقعوا في "عاثُور شَرٍّ"،و"عافُور شَرٍّ"،و"الأثَافي والأثَاثي".[35] فهوَ بذلكَ يرَى أنّهُ لاَ يَكُونُ الإبْدَالُ حقّاً إلاّ إذَا كانَ بينَ المبُدَل والمُبْدَل منْه علاقةٌ صَوْتيةٌ، كَقُرْب المَخْرَج أو الاشْتِراكِ في أغْلَبِ الصِّفاتِ الصّوتية كالجَهْر والهَمْس،والشِّدَّة والرّخاوة،[36] فقَالَ: "وَالعَرَبُ تقولُ:ليسَ هذا بضَرْب لازِبٍ ولازِمٍ، يُبدلون الباء ميما، لتقارب المخرج"[37] كما أنّه لمْ يكن يُمانعَ أن يكون الإبدال في اللَّهجة الواحدةِ،إذا اتَّفقتِ الكَلِمَتَانِ في أصْليْن منْ أصُولِهما الثّلاثة،إذْ لا بدَّ أنْ تكونَ الكلمتانِ منْ أصْلٍ واحدٍ، لذلك فقَولُهم: "فلانٌ من جِنْثِك وجِنْسِك، بمعنًى واحدٍ".[38]

وتابعَ الأصْمَعي (ت 216 ه) الفرَّاءَ في تسميةِ الإبْدالِ،غيرَ أنّه لمْ يَرَ ولمْ يَجعَلْ قُرْبَ المَخْرجِ شرطاً في الإبدال، إذْ رُويَ عنْه ألفاظٌ أُبْدِلتْ فيها السّينُ والتّاءُ في "سُوسَةٌ وتُوسَةٌ"، (وهي واحدة السُّوس وهو العَتُّ (دُودٌ يأكل الحبَّ)[39]،لقُربِ المَخرج بينَ الصَّوتين. ورُوِيَ عنه أيضاً إبدالُ الوَاو منَ الهَمْزة في "أرَّخْتُه و وَرَّخْتُه"[40]، فالهَمْزَةُ حَلْقِيَةٌ والواو شَفَوِيَةٌ.[41]

وسار ابن السكِّيت (ت 244 ه) على هَدْي الأصمعي والفرَّاء في تسمية هذه الظاهرة بالإبدال إلاّ أنه كان يتجَوَّز في إطلاق مصطلح القلْب على الإبدال، وأوضح ما يكون ذلك في قوله: "ثم قُلبت الهاء لأنّها أختُها، أي قُلبتْ الحاء في "حَقْحَقَ" إلى الهاء في "هَقْهَقَ" وكلتاهُما بمعنَى سارَ سيراً مُتْعَباً[42].ونحوَ عَنْوَنَتْهِ أحدَ أبوَابِ منْ كتاب الإبْدالِ:"بَابُ الوَاوِ تُقلَبُ تَاءً ، وهو أوّلُ الحَرْفِ،[43]كقولِهِمْ:"تُرَاثٌ" وأصلُهُ"وُرَاثٌ" ، لأنّه من " وَرِثْتُ". ويُعْقَلُ معَ ذلكَ، أنْ يَكُونَ كتَابُهُ قدْ اشْتَمَلَ في الأصْلِ علَى أبْوَابٍ في القَلْبِ المكانيِ ثمّ سَقَطَتْ جميعاً منْهُ وهو مَا رجّحَه مُحْيي الدّين تَوفيق إبْرَاهِيم،[44] وليس كمَا زَعَمَ السيّد يعقُوب بَكْر.[45]

35-معاني القرآن،1: 41.

36 - القراءات القرآنية في ضوء علم اللغة الحديث،ص73,

37- معاني القرآن، 2: 384.

38-الإبدال لأبي الطيب اللغوي، 1: 174.

39-الإبدال لابن السكيت، ص 104.

40-المرجع نفسه،ص 138.

41 -الاشتقاق ،ص340.

42- الإبدال لابن السكيت ،ص 93.

43 - المرجع نفسه،ص139.

44 - ابن السكيت اللغوي،ص261.

ولمْ يَشترِطْ ابنْ السكّيت كالأصْمعي قرْبَ المخرج في الإبدال، فقد روي "باب اللاّم والنّون" هَتَلَ و هَتَنَ، واللاّم والنُّون لِسَانِيانِ لثَوِيان، كما روى إبدال "الميم والنّون" في الغَيْم و الغَيْن"[46] والميمُ شَفَويَةٌ أسْنَانيَةٌ، والنُّونُ لِسَانيَةٌ لثَوِيَةٌ[47].

وذهبَ ابنُ السكّيت إلى مكانِ وقوعِ الإبْدَالِ في اللّهْجَةِ الوَاحِدَةِ حينَ قالَ: "حَضَرَنِي" أَعْرَابيَانِ منْ بني كِلاَبٍ،فقالَ أحَدُهُمَا: إنْفَحَةٌ، وقالَ الآخَرُ: مِنْفَحَةٌ (وهي قَوْسٌ شَديدَةُ الرَّفْعِ أو الدَّفْعِ)، ثمّ افْتَرَقَا علَى أنْ يَسْأَلاَ جمَاعَةً مِنْ أَشْيَاخِ بَنِي كِلاَبٍ،فاتَّفَقَتْ جَمَاعَةٌ علَى قَوْلِ ذَا، وجَمَاعَةٌ على قَوْلِ ذَا، وهُمَا لُغَتَانِ،[48] أي لَهْجَتَانِ.

وسار ابن قتيبة (ت 276 ه) في كتابة "أدَب الكاتبِ" على منْوالِ ابنِ السكّيت. فقد عقد فيه بابا للمبدل وبابا لإبدال الياء منْ أحدِ الحَرْفَيْن المِثْلَيْن إذا اجْتَمَعَا، وباباً للإبْدالِ منَ المتشدّد، وباباً لِمَا أبُدل من القوافي.[49]

والظّاهر أنّ المبرّد (ت 285 ه) كانَ منَ السبّاقين إلى القوْلِ بتَعاقب النّظائر فيما تقاربت مخارجها، فذكر من صُورها "مدَحَ و مَدَهَ" في قولِ النُّعْمان بنِ المُنْذِر لحَجْل بنِ نَصْلة: أردتَ أنْ تُذِيمَه (تعيبَه) فمدَهْتَه. قال المبرّد: "فمدَهْتَه" يريد "مدَحْته"، فأبدل الحاء هاءً لقُرب المخرج [50]، فالهَاءُ والحَاءُ منْ مَخْرَجٍ حَلْقِي.

ثمّ جاءَ أبو القَاسم الزجّاجي (ت 337ه) الذي ألّفَ كتاباً وجيزاً سمّاه" الإبْدَال والمعاقَبَة والنّظَائر"، قصَد فيه التفريقَ بينَ مَا هوَ إبْدَالٌ بالمعنى الصّوتي الصّحيحِ[51] ، ومَا هوَ مُعَاقَبَةٌ يأتي فيها هذا الخرْفُ تارةً وذاكَ تَارَةً أخرى دونَ أنْ يَكُونَ أحدُهُما أصلاً لصَاحبِه،[52] وفي حالِ المعاقَبَةِ تكُونُ الكلِمَتَانِ نَظيرَتَيْنِ متسَاويَتَيْنِ،ولهذَا أضَافَ الزجّاجي كلمة" النّظائر" إلى عنوانِ كتابِهِ.

كما أنّ أبَا الطيّب اللغوي(ت 351ه) سمّى كتابَ الحروفَ المُتعاقبَةَ التي جَمَعَهَا " كتابُ الإبْدالِ"، ورتّبَهُ على حرُوف المُعجم من الهَمْزةِ إلى الياءِ، وذَكَرَ مع كلّ حرْفٍ إبْدَالَهُ من

---

45 - نصوص في فقه اللغة،2:249.

46-المرجع نفسه ،ص 77.

47-العين، 1: 57.

48-المزهر،1: 475.

49-ينظر:أدب الكاتب، ص 485- 492.

50-الكامل في اللغة والأدب، 3: 1051.

51 -ينظر على سبيل المثال الإبدال والمعاقبة والنظائر، ص33.

52 - ينظر:المرجع نفسه،ص13.

الحُروفِ التي تليهِ في تَرتيبِ الأبْجَدِيَةِ،ولَمْ يتقيّدْ فيه بالإبْدَالِ الصّوتي،بَلْ أنْكَرَ أصْلاً أنْ يَكُونَ أحدَ الحَرْفَيْنِ مُبْدَلاً منَ الآخَرِ،وعدّ الأمثلَةَ جميعاً لغاتٍ مُتَساويةً،قالَ: ليسَ المُرَادُ بالإبْدَالِ أنّ العَرَبَ تتعمّدُ تعْويضَ حَرْفٍ مَكانَ حَرْفٍ،وإنّما هيَ لُغاتٌ مَّختلفَةٌ لِ مَعَانٍ مُتّفقَةٍ،تتَقَارَبُ اللّفْظَتَانِ في لُغَتَيْنِ لمعنًى واحدٍ حتّى لا يَختَلِفَا إلاّ في حرْفٍ واحدٍ، والدّليلُ على ذلكَ أنّ قبيلَةً واحدَةً لا تتكلّمُ بكَلْمَةٍ طَوْراً مهمُوزةً ، وطَوْراً غير مَهمُوزةً ولاَ بالصّاد مرّةً وبالسّينِ أخرَى، وكذلكَ إبْدَالُ لامِ التّعريفِ ميماً، والهمْزَةُ المصدّرةِ عَيْناً،كقوْلِهمْ في نحو: أَنءِ: عَنْ، لاتشتَرِكُ العَرَبُ في شيءٍ منْ ذلكَ ، إنّما قالَ هذَا قَوْمٌ وذاكَ آخَرُونَ".[53]

أمّا أبُو عليّ القالي(ت 356ه) فقد عَقَد في " أمَالِيه" فصولاً لتَعَاقُبِ الحرُوفِ[54]، وفرّقَ فيما بينَ الإبْدَالِ الصّرفي والإبْدَالِ اللّغوي.[55]

وعقَد ابنُ جنّي (ت 392ه) في كتابه "الخصَائص" باباً سمّاهُ " بابُ الحَرْفَيْن المتقَاربيْنِ يُستَعْمَلُ أحدُهما مكانَ صَاحبُهُ"، " فمتَى أمْكَنَ أنْ يَكُونَ الحَرْفَانِ جميعاً أصْلَيْنِ كلُّ واحدٍ منهُما قائمٌ برأسه،ولَمْ يَسُغِ العُدُولُ عنْ الحُكْمِ بذلكَ.فغنْ دلّ دالٌّ أوْ دَعَتْ ضَرُورةٌ إلى القَوْلِ بإبْدَالِ أحدِهما منْ صَاحبِهِ عُمِلَ بمَوْجِبِ الدّلالة، وصِيرَ إلى مُقْتَضى الصّنْعَة".[56]

واشتَرَطَ ابنُ جنّي في الإبدَال تقارَبَ الحرْفَيْن في المَخْرَجِ،ومَذهَبُهُ أنّ اللّفْطَيْنِ يَقَعُ فيهما الإبدَالُ هو الأصْلُ كمذْهَبِه في القَلْبِ،[57] وهو أنّ اللّفْظَيْن إذا كانَا مُتَصرّفيْنِ متَسَاويْنِ في التصرّفِ فهُمَا أصْلاَنِ،ومِنْ ذلكَ قوْلُهُمْ:"هَتَلَت السّمَاءُ(هَطَلَتْ)،وهَتَنَتْ تَهْتِنُ تَهْتَاناً، وهتَلَتْ تَهْتِلُ تَهْتَالاً،وهيَ سَحَائِبُ هُتُنٌ وهُتُلٌ...وكذلكَ قولُهُم:رَجُلٌ خَامِلٌ،وخَامِنٌ،النُّونُ فيها بَدَلٌ مِنَ اللاّم،ألاَ ترَى أنّه أكثَر،وأنّ الفعْلَ عليهِ تصرّفٌ،وذلك قولُهم: خَمَلَ يَخْمُلُ خُمُولاً".[58]

---

53 -المزهر، 1: 460.

54 -ينظر على سبيل المثال : الأمالي في اللغة، 2: 180.

55 -ينظر: المرجع نفسه،2: 188.

56 -الخصائص، 1: 82.

57 - ينظر: المرجع نفسه،2: 69- 82.

58 - ينظر: المرجع نفسه،2: 82- 84.

ورَفَضَ ابنُ جنّي القَوْلَ بالأصْلِ الواحِدِ،إذَا لَمْ يَكُنْ دليلٌ يدلُّ عليه،فقالَ:" وإذَا وَرَدَ بَعْضُ حروفِ الكَلِمَةِ لَفْظَانِ مُسْتَعْمَلاَنِ، فالوَجْهُ وصحيحُ القَضَاءِ أنْ تَحْكُمَ بأنّهما أصْلاَنِ مُنْفَرِدَانِ، ليسَ واحدٌ منْهما أوْلَى بالأصالَةِ منْ صاحبِهِ".[59]

وخصّ ابنُ فارس(ت 395 ه) في كتابه" الصّاحبي " الإبْدَالَ ببابٍ صغيرٍ قالَ فيه:" ومنْ سُنَنِ العَرَبِ إبْدالُ الحُرُوفِ وإقَامَةِ بَعْضِها مَكانَ بَعْضٍ ... وهو كثير مشهورٌ".[60]

لقد أفَادَ ابنُ سِيدَه ممّا كَتَبَهُ القُدَمَاءُ في الإبْدَالِ ، وممّا اسْتَنْبَطُوهُ منْ خصَائِصِ اللغةِ،وبَنَى على ذلكَ بَحْثَهُ القيّمِ الذي جرّدَ لهُ بَاباً في" المخصّص"، فرّق فيهِ بيْنَ الإبْدَالِ الصّرفي أو القياسِي وبينَ الإبْدَالِ اللّغوي.

فالقيَاسي مَا كانَ في أحدِ الحروف الثلاثة عشَرَ،وهي: الهمْزَةُ، والتّاء،والجِيمُ، والدّالُ، والزّايُ، والصّادُ، والطّاءُ، والمِيمِ، والنُّونِ، والوَاو، والياءُ والأَلِفُ.[61]

ومنَ الإبْدَالِ القيَاسِي المعرُوفِ في علم الصّرف،إبْدالُ تَاءِ الافْتِعَالِ دالاً أو طاءً، وإبْدَالُ الميمِ منَ النّونِ عند الباءِ، وإبدالُ الهمْزَةِ من أخرُفِ العلّةِ، وهذه الأخيرةُ منها.[62]وأمّا مَا دونَ ذلكَ،أي مَا كانَ في غيرِ هذه الحُرُوفِ الثّلاثة عشْرَةَ ، فإنّه غيْرُ قياسِي، فقسّمَهُ بدَوْرِه إلى إبْدَالٍ،[63] ومَا يَجْري مَجْرَى الإبْدَالِ، [64] فهو لا يُمَانِعُ في حُدُوثِ الإبْدَالِ في اللّهْجةِ الواحدةِ ، ويَشْتَرِطُ فيه وِحْدَةَ المَخْرَجِ بينَ المُبْدَلِ والمُبْدَلِ منْهُ، بينمَا يَرَى أنّ مَا يَجري مَجْرَى الإبْدالِ أو التّعاقُبِ هوَ في مُجْمَلِهِ لُغَاتٌ مُخْتَلِفَةٌ لتَبَاعُدِ المَخْرَجِ فيها بينَ المُبْدَلِ والمُبْدَلِ منْهُ فقالَ:" أمّا مَا كنَ جَارِياً على مَقَاييسِ الإبْدَالِ التي أَبَنْتُ فهوَ الذي يسمّى بَدَلاً، وذلكَ كإبْدَالِ العَيْنِ منَ الهَمْزَةِ،والهَمْزَةِ منَ العَيْنِ، والهَاءِ منَ الحَاءِ ، والحَاءِ منَ الهَاءِ، والقَافِ منَ الكَافِ ، والكَافِ منَ القَافِ ... فأمّا مَا لَمْ يتَقَاربْ مَخْرَجَاهُ البتّةَ فقيلَ على حَرْفَيْنِ غيرَ متَقَارِبَيْنِ فلا يُسَمو بَدَلاً ، وذلكَ كإبْدَالِ حَرْفٍ منْ حُرُوفِ الفَمِ منْ حَرْفٍ منْ حرُوفِ الحَلْق".[65]

---

59 -سر صناعة الإعراب،ص210.

60 - الصاحبي في فقه اللغة،ص 203- 204.

61 -المخصص،13: 276.

62 -المرجع نفسه،13: 268 – 269.

63 - المرجع نفسه، 13: 274.

64 -المرجع نفسه، 13: 287.

65 - المرجع نفسه، 13: 274.

فمِنْ أمْثلَةِ مَا سمّاهُ إبْدَالاً قوْلُ الأصْمَعي:" آدَيْتُهُ على كذَا، وأَعْدَيْتُهُ : قَوّيْتُهُ، وأَعَنْتُهُ ، وقدِ اسْتَأْدَيْتُ الأمِيرَ علَى فُلانٍ،أي استَعْدَيْتُهُ "[66]، فالعينُ والهمزَةُ منْ حَيّزٍ واحدٍ وهو أقصى الحلْق.[67]

وإذا كانَ ابنُ سِيده قدِ اشْتَرَطَ وحْدَةَ المَخْرَجِ ، ليُعدّ ذلك إبْدالاً لُغَوياً مقتفياً أثَرَ مَنْ سَبَقُوهُ كالفرّاءِ والمبرّد ، وابن جنّي ، فإنّه اشْتَرَطَ كذلك وحْدَةَ المعنَى بينَ المُبْدَلِ والمُبْدَلِ منْهُ.

فمنْ أمثلَةِ اختلافِ المعنَى المانِعِ للإبدَال،[68] ما قَصَدَهُ في " باب ما يَجيءُ بالوار فيكونُ له معنًى ، فإذا جاءَ بالباءِ كانَ لهُ معنًى آخُرُ"، قولُ ابنِ السكّيت:"حَنَوْتُ عليهِ: عَطَفْتُ عليهِ، وقدْ حَنَيْتُ ظَهْرِي ، وحَنَيْتُ العُودَ، ويقالُ: قَرَوْتُ الأرْضَ: إذَا تَتَبَّعْتَها تخرجُ منْ أرضٍ إلى أرْضٍ قَرْواً، وقَرَيْتُ الضّيْفَ قِرىً وقِرَاءً،وقدْ سَرَوْتُ ثَوْبِي سَرْواً: إذَا اَلْقَيْتَهُ، وسَرَيْتُ لَيْلاً وأَسْرَيْتُ: إذَا سِرْتُ ليلاً".[69]

كمَا أنّ المَعْزُوَّ منَ النّطيرَيْنِ،عنْدَه،إذَا كانَ خاصّاً، وغيرَ المعروفِ عامّاً، كانض هناكَ لُغَتَانِ لا بَدَلاَنِ، وكانَ المَعْزُوُّ أقلَّهُمَا فَصَاحَةً واسْتعْمَالاً ، ومثّلُ له بلفظِ "مَدَهَ" بمعنى مَدَحَ[70] ، وكأنّه رأَى في مَا ذَهَبَ إليْه المبرّدُ في ذلكَ صَوَاباً، حينما نَسَبَ هذَا الأخيرُ لَفْظَ " مَدَهَ" إلى بني سَعدٍ ولَخْمٍ ، ولمْ يَعْزُ اللّفظَ الثاني إلى بيئَةٍ أو قبيلَةٍ أخْرى، بوصْفها لغةُ سَائرِ العَرَبِ.[71]

ولذلكَ رأينا ابنَ سيده يُخالِفُ أبضا عليّ القالي، فلمْ يجعلِ النّونَ مُبْدَلَةً من الهاءِ في قولهم:"تفكَّهَ وتَفَكَّنَ"[72]،لأنّه يُقالُ: رَجُلٌ مُتَفَكِّهٌ ، إذَا كانَ حَزيناً مُتَنَدّماً، وعليه قوله تعالى: (فَظَلْتُمْ تَفَكّهُونَ) [73]، فمعناهُ تنَدَّمُونَ،أو تَعْجَبُونَ ممّا وقَعَ في زَرْعِكُمْ،وعُكْلٌ(قبيلة) تقولُ"تَفَكَّنُونَ" بالنُّونِ".[74] و رُبَمَا شَكّكَ للسّبَبِ نَفْسِه في قَولِ أبي عليّ الفَارسِي،الذي رأى في مَا نَقَلَه الأصْمَعِي عنِ العَرَبِ قَولُهم:"دَهْدَهْتُ الحَجَرَ،ودَهْدَيْتُهُ" لُغَتَيْنِ، الهاءُ في تَمِيمٍ ،

---

66 - المرجع نفسه، 13: 274.

67 -العين،1: 52.

68 - ينظر: كتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي: مقدمة التحقيق،ص25.

69 -المخصص، 14: 26.

70 -المرجع نفسه، 13: 276.

71 - ينظر: الكامل في اللغة والأدب،ص1051 وكتاب الإبدال لأبي الطيب اللغوي: مقدمة التحقيق ، ص18.

72 -المخصص،13: 287 وينظر: الأمالي في لغة العرب،2: 180.

73 -الآية 65 من سورة الواقعة.

74 -الأضداد لابن الأنباري،ص 65.

واليَاءُ في أهلِ العَالِيَةِ"[75]،وكأنّنا بابنِ سيده لمْ يرَ في قَوْلِ أبي الطيّبِ اللّغوي:"ليسَ المُرَادُ بالإبْدَالِ أنّ العربَ تتَعَمّدُ تَعويضَ حَرْفٍ مِنْ حَرْفٍ،وإنّما هيَ لُغَاتٌ مُختَلفَةٌ لِمَعانٍ مُتّفقَةٍ "[76]صَوَباً في هذا المَوْضِعِ،فشَرْطُ الإبْدَالِ عنْدَهُ أنْ يَكُونَ بينَ المُبدَلِ والمُبْدَلِ منْهُ قَرَابَةٌ صَوتيَةٌ،الأمْرُ الذي توفّرَ في المثال السابق، فالهاءُ والياءُ منْ مخرَجٍ واحد.ولعلّ ما تردّد ابنُ سيده أمامَهُ ،فأَهْمَلَ أو شَكّكَ فيما لمْ يَتَحقّقْ سَمَاعُهُ عنِ العَرَبِ، وثَبَتَ لَديْه أنّ هذا لمْ يَقُلْ بهِ غيرُ أبي علّي الفَارسي، فكانَ أنْ ردّهُ بلُطفِ الصّنعةِ إلى الإبْدَال اللّغوي، وهوَ تردّدٌ أملَتْهُ طبيعةُ التثَبُّتُ والتروّي اللذيْن تحلّى الرّجُلُ بهمَا قبلَ إطْلاَقِ الأحكامِ جُزَافاً.

واتّفق ابنُ سيده معَ ابنِ جنّي في قولِه بالأصْلَيْنِ المُنْفَردَيْنِ المُتَسَاويَيْنِ في التصرُّفِ المَانِعَيْنِ للقَوْلِ بالإ بْدَالِ في قولهم:" جَمَسَ الوَدَكُ،وجَمَدَ"[77]،فقالَ:"ألاَ تَرَى أنّ بعضَهُمْ يقولُ: جَمَسَ الوَدَكَ(ذهَبَتْ رُطُوبَتُه)، وجَمَدَ المَاءُ، ولا يُقالُ: جَمَسَ المَاءُ،ولا جَمَدَ الوَدَكُ".[78]

كمَا تَابَعَ الفرّاءَ وابنَ السكّيت في قولهما بإمْكَانِ المُعَاقَبَةِ في القبيلَةِ الواحدَةِ، وإنْ لمْ يَجِدْ فيهِ قيَاساً مُطّرِداً،ومثَّلَ لهُ بقوْلِ الأصْمَعِي حينَما سَألَ المفضّل الضبّي (ت 170هـ) عن معنَى" خَيْصاً خَائِصاً"في قوْلِ الأعشى:[79]

لَعَمْرِي لَمَنْ أَمْسَى القَوْمُ شَخِصاً لَقَدْ نضالَ خَيْصاً مِنْ عُفَيْرَةَ خَائِصاً

فقالَ: أرَ مِنْ قَوْلِهِمْ : فُلاَنٌ يُخَوّصُ العَطَاءَ في بنِي فُلاَنٍ ، أيْ يُقلّلُهُ، فكأنّ خَيْصاً " شيءٌ يسيرُ ثمّ بَالَغَ بقوْله: " خَائِصاً"،كمَا قالُوا: مَوْتٌ مَائِتٌ . فقالَ هو علَى المُعَاقَبَةِ، وهيَ لَغَةٌ لأهلِ الحِجَازِ، وليسَتْ بمطّردَةٍ في لُغَتِهِمْ".[80]

وإذَا كانَ لا بُدَّ أنْ نُبْديَ رأياً في ما وضَعَهُ العلماءُ القدمَاءُ منْ شرُوطٍ لحُدُودِ الإبْدَالِ، فإنّنا نجدُ في أنْفُسِنَا ميلاً إلى القَوْلِ بصوابِ لآرائهم فيها، ففي اشْتِرَاطِهِمْ تقَارُبَ المخرَج بينَ المبْدَلِ والمُبْدَلِ منْه ضرُورةً يتمّ بها التفريق بينَ الإبْدالِ والمُعاقبَةِ،فالقَوْلُ بالإبْدالِ في العَربيةِ يُوقِفُنَا على مَعَالِمِ التطوّرِ الدّلالي الذي أصَابَ الألفاظَ في مراحلِ نموّها،فأمْكننَا بذلكَ معرفةُ الأصْلِ من الفَرْعِ فيها.

---

75 -المخصص، 13: 287.

76 - المزهر، 1: 460.

77 -المخصص، 13: 287.

78 - المرجع نفسه، 13: 287.

79 -ديوانه،ص199.

80 -المخصص،14 :19.

أمّا ما ذَهبُوا إليهِ مِنْ إمْكَانِ المُعَاقَبةِ في اللّهجةِ الواحدَةِ،فهو في وجهٍ من القياسِ جائزٌ،مَا لَمْ يكُنْ ذلكَ قَصْداً في الوَضْعِ ولا أصْلاً،بحيث لا ينْفي السّليقَةَ اللّغويَةَ عنْد العربيّ، وإنّما أمْلَتْهُ ضرُورةٌ أسلُوبيَةٌ أوْ ضرُورةً شعريةً أوْ مَا يَجْري مَجْرَاهَا، كمَا أنّنا نؤيّدُ رأيَهُمْ الرّافضَ لِدَعْوَى التّرادُفِ المُطلَقِ بيْنَ الحَرْفَيْنِ المُتَقارِبَيْنِ ،مَهْمَا كانَا مُوغِلَيْنِ في القِدَمِ أوْ تُنُوسِيَتْ فيهما خَطَواتِ التّطَوُّر،الأمرُ الذي يُفْسِحُ المَجَالَ واسِعاً للإطّلاعِ علَى مَظَاهِرِ التجَذُّرِ والتوسُّعِ الذي أصَابَ الألفاظَ باختِلافِ القائِلِينَ بهَا والتي حفلت بها كتُبُ اللّغة ومعاجمُها.

المحاضرة (09): 2020-04-16

-ج-الإتباع والمزاوجة:

عرّف ابنُ فارِس (ت 395 ه) الإتْبَاعُ، فقالَ: هوَ أنْ تَتبَعَ الكَلِمةُ الكَلِمَةَ على وزْنها أو روّيها إشباعاً وتأكيدًا، وذلك قولهم: سَاغِبٌ لاَغِبٌ(فسَاغِبٌ ذُو مَسْغبة أي مَجاعةٌ، و لاغِبٌ: مُتْعَبٌ مِنَ الإعْيَاءِ) وهو "خَبٌّ ضَبٌّ" (خدَّاع خبيث غشَّاش، وضَبٌّ: مُنْكَرٌ ،مُرَاوِغٌ، حَرِبٌ ، والضَّبُّ:الغَيْظُ والحِقْدُ وقيل هو: الضِّغْنُ والعَداوة ومُضْمِرٌللحقد)، وخَرابٌ يبَابٌ (فاليَبابُ: الخَرَابُ، والخَالي لا شيءَ فيه) وقد شاركتِ العربُ العَجَمَ في هذا البَابِ.[81]فدلّ بذلك على أنّ الإتباع يتركَّب، في العادة، من دالَّيْنِ اثْنَيْنِ، يكون الثّاني زيادةً على أنه في وزْنِ الأول ورويه، إمَّا ذَا مَعْنًى مَعْرُوفٍ، وإمَّا لا معنَى لهُ على الإطلاقِ، وقد أُدْرِجَ ليُثبتَ الكلامَ ويؤكّدَهُ. [82]

ونَجِدُ لتعْريفِ ابنِ فارسَ هذَا صدًى فيما نَقَلَهُ السّيوطي(ت 911ه) عن أبي عليّ القالي حينَ قالَ عنِ العَرَبِ : إنّ مَذْهَبَهُم في الإتْبَاعِ " أنْ تَكُونَ أوَاخِرُ الكَلِمِ على لَفْظٍ واحدٍ مثْل القوَافِي والسّجْعِ".[83] ولعلّ في قَوْلِ أبي عليّ هذَا مَا يُؤَكّدُ أنّ مَا اتّفَقَ وَزْنُهُ ورويُّهُ معاً أكثُرُ بكثيرٍ ممّا اتّفَقَ وَزْنُهُ وحْدهُ،كقولهم:" عَيٌّ شَيٌّ "[84]،وأنّ أحْسَنَ مَرْتَبَةٍ في الإتْبَاعِ،منْ ناحيَةِ المُجَانَسَةِ الصّوتيَةِ،أنْ يَكُونَ الدالُّ الثّاني مُكَوّناً معَ الدالّ الأوَّلِ مُجَانَسَةً صَوْتيَةً تَسْتَريحُ

81- الصاحبي في فقه اللغة ،ص 270، والإتباع والمزاوجة،ص2 .

82 - بعض مظاهر التطور اللغوي،ص60.

83 -الأمالي في لغة العرب، 2: 221 والمزهر، 1: 413.

84 -المخصص، 14 : 29.

إليها النّفْسُ حتّى وإنْ لَمء يَكُنْ لهذَا اللّفظِ معنًى علالى الإطْلاقِ.[85]وهو مَا صرَّح بهِ أبُو العبّاس ثَعْلب (ت 291 ه) عنْ ابنِ الأعرابي (ت 231 ه) "أنه سأل بعضَهم عنْ قولهم: "شَيْطانٌ لَيْطانٌ"، معنى لَيْطان؟، فقال: شيء نَتِدُ(أي نُقوّي به) به كلامنا.[86] فكَانَ ذلكَ تَصْريحاً منْهُ بالغَرَضِ المَطْلُوبِ منَ الإتْباعِ، وهو ما أكّدَهُ ابنُ جنّي بقولِه:"ولهذَا وَقَعَ الإتْبَاعُ في كلاَمِهم، نحو قولِهم:" شَيْطانٌ لَيْطانٌ"، لأنّهم أرَادُوا إعَادَةَ اللفظَةِ بعيْنِها ، فغيّروا بعضَ حروفها، وتَرَكُوا الأكثَرَ، ليَعلمُوا أ،هـ في توكيدِ الأوَّلِ، كمَا قالُوا : قامَ القَوْمُ أجْمَعُونَ أَكْتَعُونَ أَبْصَعُونَ."[87]

ويتّضحُ ممّا سَبَقَ أنّ أكثَرَ الإتْبَاعِ يتَمَاثَلُ فيه التّابِعُ والمَتْبُوعُ في الوَزْنِ،وإنْ كانَ ذلكَ ليسَ بالشَرْطِ الوَاجِبِ عندَ بعضِ العُلمَاءِ،فقد أوْرَدَ أبو الطيّب اللغوي أمثلَةً لمْ يتَماثَلْ فيها التّابعُ والمَتْبُوعُ في الوَزْنِ،نحو قولِهِمْ في سَبِّ الرَّجُلِ : "رَغْماً دَغْماً شَنَّغْماً".[88]ولذلكَ لَمْ يُخْطئْ تَاجُ الدّين السّبْكي(ت 777ه)، في رأينا[89]،حينَ قالَ:" فالتّابِعُ في شَرْطِهِ أنْ يَكُونَ على زِنَةِالمَتْبُوعِ" [90]، مُعتَبراً أنّ الأصْلَ في الإتْبَاعِ " أنْ تتْبَعَ الكلمَةُ كَلمَةً مَأْخُوذَةً منها بتغيير بعض الأحرُ، وتَرْكِ بَعَضِها الآخرَ لتَكُونَ هذه المُجَانَسَةُ في الصّوتِ وسيلَةً لتاكيدِ الكلمَةِ الأُولَى" [91]، الأمرُ الذي لا يُقُودُنَا إلى الاعْتقَادِ بأنّ العُلَمَاءَ قدْ أهْمَلُوا قضيَةَ المعنَى في التّابِعِ. فقد رأتْ جَمَاعَةٌ منهمْ أنّ التّابعَ قدْ يَكُونُ لهُ معنًى وقدْ لا يَكُونُ، ومنْ هنَا لَمْ يَشْتَرطُوا عَدمِ المعنَى فيهِ.ومنْ هؤلاءِ أبو علي القالي(ت356 ه) الذي قسَّم الإتْباع إلى ضَرْبَيْن[92]: ضَرْبٌ: يكون فيه الثاني بمعنى الأول فيُؤتى به تأكيداً"،لأنّ لفظَهُ مُخالفٌ للفظ الأول،نحو قولهمْ في صفَة الذّئب:"سَمَلَّعٌ هَمَلَّعٌ"،والهملّع:السّريع وكذلك السّمَلَّعُ"[93]،وضَرْبٌ:فيه معنى الثاني غير معنى

85 -بعض مظاهر التطور اللغوي، ص417.

86 -مجالس ثعلب،1: 8.

87 -المنصف، 2: 325.

88 -الإتباع، ص 55.

89 - جاءَ هذا ردّاً على مَا ذَهَبَ إليه حسين نصّار في كتابه دراسات لغوية، ص53.

90 -المزهر، 1: 416.

91 -نصوص في فقه اللغة، 2 : 332.

92 - الأمالي في لغة العرب، 2 : 211.

93 - المرجع نفسه، 2: 222.

الأول، كقولهم:"رَطْبٌ ثَعْدٌ،مَعْدٌ.فالثَّعْدُ:اللَّينُ والمَعْد:الكثيرُ اللَّحْمُ الغَليظُ.[94]ويُؤخَذ على هذا التَّقسيم أنَه أهمَلَ ما ليس له معنىً في الإتْباع، وهو الأصلُ.[95]

وإلى مْثْلِ ذلكَ ذَهَبَ أبُو الطيّب اللّغوي[96] وأحمد بن فارس[97]، والتّاج السّبْكي الذي ردّ على مَنْ زَعَمَ أنّ التّابِعَ لهُ معنًى[98]،فقالَ:" والتّحقيقُ أنّ التّابِعَ يُفيدُ التّقويَةَ ، فإنّ العَرَبَ لا تَضَعُهُ سُدًى، وجَهْلُ أبي حَاتِمٍ (يقصدُ أبو حاتم السّجستاني) بمعنَاهُ ، أي بمعْنى : بَسَن" في قولِهم: " حَسَن بَسَن" لا يَضُرُّ، بلْ مُقْتَضَى قوله:إنّه لاَ يَدْرِي مَعْنَاهُ أنّ لهُ معنًى،وهو لا يَعْرِفُهُ".[99]

وكانتْ الثّمرة الطبيعيةُ أنْ فرّق العُلماءُ بينَ الإتّباع والمُزاوَجة،ذلكَ أنّ القاعدَةَ في الإتّباعِ أنْ تُتبعَ الكلمةُ كلمةً أخْرى مُجانِسَةً لها دُونَ أنْ تَرْبِطَ بينهُما واوُ العَطْفِ،فإذَا جِئْتَ بالوَاوِ فهذِه مُزاوجَةٌ.[100] ولقدْ فَطِنَ إلى ذلكَ ابنُ فارِس في كتابه" الإتْباع والمُزاوجَة" فجعلَها على وجْهيْن: أحدُهما:أنْ تَكونَ الكلمتَانِ مُتَواليَتيْنِ علَى رويّ وَاحِدٍ،والوَجْهُ الآخَرُ: أنْ يخْتَلفَ الرَّوِيَانِ،ثمَّ يكونُ بعْدَ ذلكَ على وَجْهَيْنِ: أحَدهُما: أنْ تَكونَ الكلمَةُ الثّانيَةُ ذاتَ معْنًى.والثّاني: أنْ تكُونَ الثّانيةُ غيرُ واضِحَةِ المَعْنَى ولا بيّنَةُ الاشْتِقَاقِ،إلاّ انّهُما كالإتْبَاعِ لمَا قَبْلِهَا. فضِمْنَ (باب مَا جاءَ منَ الإتّباع والمُزاوجة على البَاء) قولهم: ومن المزاوَج (مَا له هَارِبٌ ولا قَارِبٌ)أي ما له صادِرٌ عن الماء ولا وَارد. ومنه قولهم عند المبالغة: (لا شَيْبٌ ولا عَيْبٌ) و(لا شَوْبٌ ولا رَوْبٌ)،والرّوْبُ : اللّبَنُ والشَّوْبُ: العَسَلُ.[101] ويُؤخَذُ على هذا التّقسيمِ أنّه أهْمَلَ الوَزْنِ.[102]

وقد خَلَطَ ابنُ سِيدَه ، كغيره من اللّغويين بينَ الإتباعِ والمُزَاوَجَةِ، وذلكَ حينما عدّ مَا رَوَاهُ ابنُ السكّيت عنِ العرب قَولُهُم:" ومَا لَهُ عَالٌ ولا مَالٌ"، و" قدْ جيءَ بهِ منْ عِيصِكَ

94- المرجع نفسه، 2: 220.

95 - دراسات لغوية، ص57.

96 - كتاب الإتباع،مقدمة التحقيق،ص7.

97 - الصاحبي في فقه اللغة، ص270.

98 - المزهر، 1 : 415، وقد نسب السيوطي هذا الرّأي إلى الآمدي.

99 -المرجع نفسه،1: 416.

100 - ينظر: شواهد ذلك في أدب الكاتب ، ص 43-48.

101 ينظر:الإتباع والمزاوجة،ص-2-3 و المزهر، 1: 414.

102 دراسات لغوية ،ص57.

وإيصِكَ"[103](أي مِنْ حيثُ كانَ) إتْبَاعاً ،وهو بذلكَ لمْ يفرّق بين مَا هو بغير واوٍ متَابعاً أبَا عليّ القالي.

لهذا السّببِ منَ التّفريق اشترط الكسائي (ت 182ه) ، وأبو عبيد القاسم بن سلاّم ألاّ يُعطَفَ الإتْبَاعُ بأداةٍ.قال أبُو عبيد في " غريب الحديث":وأمّا حديث آدم –عليه السلام- أنّه استَحرَم حين قُتِلَ ابنُه فمكثَ مئةَ سنَةٍ لا يضحكُ ، ثمّ قيل:حَيّاك الله وبيّاك . قال: ومَا بَيَّاكَ؟،قيل:أضْحَكَكَ.فإنّ بعضَ النّاس يقول في بيّاك: إنّه إتباعٌ،وهو عندي على ما في تفسيرِ الحديث أنّه ليس بإتْباع، وذلك أنّ التّابع لا يكادُ يكون بالواو وهذا بالواو ".[104]

ومعنَى كلامِهِ أنّ هناكَ من يَرْفُضُ هذا الرّأي كابن الأعرابي وأبي عليّ القالي وابنِ سيده؛ لأنّهما رأيَاَ منَ العرَبِ مَنْ يقولُ: "شيخٌ تالٌّ وفالٌّ "، ومعنَاه أنّ الشيخ لضَعْفه إذا وَطِئَ لم يقدِر أنْ يَخدِش(يهَشّم) غيْرَ الّشيء الليّن،وفالٌّ: هَرِمٌ".[105]وإلى مثْل ذلكَ ذَهَبَ أبُو الطيّب اللّغوي،فقد سَمِعَهُم يقُولُونَ:"هذَا جَائعٌ نَائعٌ"، فهو عندَهُم إتْبَاعٌ،ثمّ يقولُونَ في الدّعاءِ على الإنْسَانِ : " جُوعاً ونُوعاً"، فيُدخلُونَ الواوَ".[106]

فهم بذلكَ لا يَرَوْنَ فارقاً بينَ مَا هوَ بالوَاو وبينَ مَا هوَ بغيرها،فهذَا كلّهُ إتْبَاعٌ إذَا كانتِ الكَلِمَةُ الثّانيةُ ممّا يُسْتَعمَلُ مُفْرَداً،أو توْكيداً إذَا كانتِ الكلمَةُ الثّانيةُ ممّا يُمكنُ استعمَالُهُ مُفْرَداً ، ولذلكَ رأيناَهُمْ يتّخذُونَ منَ انْفرَادِ الكلمَةِ الثّانيَةِ المِقْيَاسَ الذي اعتَمَدُوا عليهِ في الفصْلِ بينَ الإتْبَاعِ والتّوكيدِ، فمِنَ الإتْبَاعِ عند القالي قولهُم:" إنّه مُعْفِتٌ مُلْقِتٌ"،فمُعْفِتٌ الذي يَعفِتُ الشّيءَ:أي يَدُقُّهُ ويكسّرهُ، والمُلْفِتُ الذي يَلْوِيه."[107]ولكنّ هذا توكيدٌ عند أبي الطيّب[108]،إذْ المُعَوَّلُ عليه عنْدَهُ،في التّفريقِ بينَ الإتْبَاعِ والتّوكيدِ هو علَى معنَى التّابِعِ مع إمْكَانِ إفْرَادِهِ في الكلامِ،ذلكَ أنّ التّابعَ إذَا لَمْ يَكُنْ لَهُ معْنًى في نَفْسِه أو كانَ لَهُ معنَى المَتْبُوعِ، ولَمْ يأْتِ ليَتِدَ ما قبْلَهُ ويُقَوّيهِ،ثمّ لا يُتَكَلَّمُ بهِ مُفْرَداً كانَ إتْبَاعاً،وإنْ كانَ لا يُشَارِكُ المَتْبُوعَ في المَعْنَى، فأفَادَ في تقْوِيَتِهِ،وأمْكَنَ إفْرَادُ التّابعِ في الكلامِ كانَ تَوْكيداً.[109]

---

103 -المخصص، 14 : 38 وينظر: جمهرة اللغة، 3: 430، والأمالي في لغة العرب ، 2: 224.

104 -غريب الحديث،3: 279-280 والنهاية في غريب الحديث والأثر،1: 176 و المزهر،1: 415.

105- الأمالي في لغة العرب،2: 219.

106 - الإتباع،ص3.

107 - الأمالي في لغة العرب،2: 222.

108 -الإتباع،ص82.

109 - ينظر: المرجع نفسه ، مقدمة التحقيق، ص7.

ومَهْمَا يكُنْ منْ أمْرِ التّفريقِ بينَ الإتْبَاعِ والمُزَاوجَةِ،فإنّه لا بَأسَ كذلكَ منْ التّعويلِ، في رأينَا،منَ استنْطَاقِ الدّلالَة اللغويةَ لكلٍّ مِنهْما،فالإتْبَاعُ: أنْ تتبَعَ الكَلمةُ كلمَةً أُخرَى مبَاشَرَةً،أي من غيرِ وسَاطَةٍ، والمُزَاوَجَةُ: أنْ تُزَاوِجَ بينَ طَرَفَيْن وتَجْعَلَ منهما زَوْجاً واحداً في السّجعِ أوِ الوَزْنِ،وهذا لا يُمكنُ إلاّ برِبَاطٍ،وهذا الرّابط هو واوُ العطْفِ عَادَةً.[110]

على أنّ كثيراً منْ أئمّةِ اللّغةِ لمْ يغْفَلُوا بَحْثَ الإتبْاعِ والمُزاوجة في كُتُبهم اللّغويةِ.وقدْ عَرَضَ السّيوطي في"المُزهر"[111] وحسين نصّار في"دراسات لغوية"[112] آراء العلماء فيهما بالتفصيل.

110 -ينظر: أدب الكاتب، ص43- 48.

111 -ينظر:المزهر،1: 414-425 و دراسات لغوية.

112 -ينظر: دراسات لغوية ،ص47- 64.